سليمان العيسى

أمشي.. وتنأين

قال شاعرنا العربيُ القديم:
«لا بُدَّ من صنعا وإنْ طالَ السَّفَرْ...»

★ ★ ★

ماذا من الشَّهْقَةِ الحمراءِ أختزنُ؟
أمْشي وتَنْأَيْنَ يا صنعاءُ، يا عَدَنُ
تَقَصَّفَ العُمْرُ في جَفْني، وفي شَفَتي
وما تزالُ وراءَ الدمعةِ اليَمَنُ
أمْشي وتَنْأَيْن.. هل كانَ الهوى عَبَثاً
وهَلْ تلازَمَ فيَّ المَيْتُ والكَفَنُ؟
أمْشي وتَنْأَين.. يا لَلْحلْمِ أعْصِرُهُ
شعراً، ويَعْصِرُني يأساً، وأَحْتَضِنُ
تبارَكَ الحُزْنُ.. يُغْوي جَمْرتي أبداً
إذا انْتَهى بالرَّمادِ اليأْسُ والحَزَنُ
ماذا من الشَّهَقاتِ الحُمْرِ قد تَرَكَتْ
ماذا من الشَّهَقاتِ الحُمْرِ قد تَرَكَتْ
لِيَ الدُّروبُ.. ومَنْ حَلُّوا ومن ظَعَنُوا؟
ماذا؟ أَلِفْتُ السَّرابَ المُرَّ في حَدَقي
وما كَفَرْتُ.. تَرَدَّى الكُفْرُ مَنْ جَبُنُوا
تساقَطُوا في البريقِ المسْخِ.. واتَّشَحُوا
بالكِبرياءِ.. وفي تمزيقكِ ارْتُهِنوا
لَتَنْفُضَنَّ تُرابَ القبرِ عن شَفَقٍ
للهامدين يُغَطِّي الأرضَ يا يَمَنُ
قيامَةُ الباصقينَ الدمَّ قد أَزِفَتْ
هيّا انْفُخي.. بِيَدَيْنا الصُّوَرُ يا عَدَنُ
هَيَّا انْفُخي.. ما أتينا الأرضَ من عَدَمٍ
هنا بعينَيَّ يوماً أَبْصَرَ الزمنُ
من قبل أن يولدَ التاريخُ كنت هنا
كان الحضارة.. كان الوحدة اليمن
الدهرُ نحن صنعنا أبْجَدِيَّتَهُ
في كُلِّ وارفةٍ منه لنا فَنَنُ
لا أَكْذِبُ الْفَلَكَ الدوَّارَ.. كاسِفَةٌ
شَمْسي.. ويصطرعان: الضوءُ والدَّرَنُ
يا حافِري قبرنا.. والليلُ ملكهُمُ
بين المحيطين نعشٌ ليس يندفنُ

★ ★ ★

أَمْشي.. وتَنْأَين.. ما جَدَّفْتُ بالإِسْراءْ
لا بُدَّ.. لا بُدَّ يا صَنْعاءُ مِنْ صَنْعاءْ
صَنْعاءُ.. يا كَبْوةَ الأَيَّامْ
يا حُلْوةَ القمَمِ الخرساءِ والأَنْسَامْ
يا دَمْعَةَ الضَّوْءِ في التاريخِ والأَرْحَامْ
«مَليحةٌ.. عاشقاها السِّلُّ والجَرَبُ»
قالَ ابْنُها..
صَفَّقَتْ للكلْمةِ العَرَبُ
لا تَغْضَبي لم يَكُنْ شَطٌّ بلا أَنْواءْ
لم يَحْيَ قَلْبٌ. بلا بَلْوَى ولا غَمَّاءْ
وما عَرَفْتُ بلاداً قَطُّ يا صَنْعاء
تَنَزَّلَتْ جنةً خضراءْ..
من السماءِ.. تَدَلَّتْ جَنَّةً خضْراء
ولم تَمُرَّ بها آهٌ، ولا بأْساء
«مليحةٌ عاشِقاها السِّلُّ والجَرَبُ»
أَحِبُّها.. تِلْكَ أَرْضي.. يَنْتَهي العَطَبُ
يوماً.. ويَنْشَقُّ عن ثاراتِه الكَفَنُ
يَنْشَقُّ عن لَحْدِهِ المَوْؤودُ يا عَدَنُ
تَجْري الرياحُ بما تَخْتَطُّه السُّفُنُ

★ ★ ★

لم أَعْرِفِ الأُحْجِيَاتِ الزُّرْقَ في قَلَمي
اسْمُ الشَّقاءِ الذي أَقْتَاتُهُ الوَطَنُ
أُرِيدُها بِوُضُوحِ الخُبْزِ أُغْنِيَتي
والجوعِ، والخِنْجَرِ المَغْروزِ في رِئَتي
أُرِيدُها..
وتَدُقُّ الريحُ نافِذَتي
تُلَفِّني بِسِياطِ السُّخْرْ
من كُلِّ فَجٍّ، تَلُفُّ العُمْرْ
مَنْ أَنْتَ؟ طِفْلٌ بلا مَأْوَى
صَوْتٌ بلا جَدْوَى..
وَعْدٌ.. ولا واعِدْ
عَزْمٌ.. ولا ساعِدْ
مَنْ أَنْتَ؟ تَضْرِبُ في بَيْداءَ مِنْ أَزَلِ
قالوا لنا.. ماتَ فيها الضَّرْعُ واللَّبَنُ
قالوا، وأَقْسَمَ حادِيهِمْ ومُطْرِبُهُمْ
هذي الملايينُ.. لا رُوحٌ ولا بَدَنُ
ماتَتْ على القَلَمِ الصُّعْلُوكِ، وانْطَلَقَتْ
بَشائِرُ الحِقْدِ.. غَطَّى الساحَةَ العَفَنُ
أَنْتَ الْيَتِيمُ.. على أَطْرافِ مائِدَةٍ
شَتْمُ العُرُوبةِ فيها الفَنُّ واللَّسَنُ
تُجْتَثُّ في عَتَماتِ الزُّورِ أُغْنِيَةٌ
تَقولُ: نحنُ هُنا
تُصِرُّ.. نحنُ هنا
تُسْقَى وتُطْعَمُ أَغْلالاً.. ونحنُ هنا
تُجْتَثُّ في عَتَماتِ الزُّورِ كُلُّ يدٍ
تَمْتَدُّ.. يَخْضَرُّ في أَحْلامِها غُصُنُ
مَنْ أَنْتَ؟ يا رِمَمَ التاريخِ في وَتَري
لَيَسْقُطَنَّ غداً عن جُثَّتي الكَفَنُ
لأُبْلِغَنَّكَ يا شَطَّ الهَوَى رَهَقاً
تَعَرَّفَتْ دَمَهُ الأَغْوارُ والقُنَنُ
لأَحْمِلَنَّ بقايا اللَّحْمِ في قَدَمي
وأَلْتَقي بابكَ المرصودَ يا يَمَنُ

★ ★ ★

عَفْوَ العَمُودِ، وعَفْوَ الظلِّ، قافيةٌ
تَدُقُّ صَدْري، يداها القَهْرُ والمِحَنُ
لم أَعْرِفِ الأُحْجِيَاتِ السودَ يا بَلَدي
ولا تَأَلَّه في أَجْفانِيَ الوسَنُ
ما كنتُ رمزاً.. دعوني عارياً وَجَعي
دمُ القتيلِ بأغلى الرمزِ يُمْتَهَنُ
الخَنْجَرانِ بصدري[1].. كانَ نَزْفُهما
عُمْري أُحِبُّ به طِفْلاً وأَضْطَغِنُ
الخَنْجَرانِ.. ويافا مِثْلُ حارَتِنا
خَلْفَ السلاسلِ، لا أَهْلٌ ولا سَكَنُ
بَعيدةٌ عَتَباتُ الحُلْمِ.. يا وَطَني
صَحْراءُ يَلْهَثُ فيها الفِكْرُ والظَّنَنُ
بَعيدةٌ.. أَتَقَرَّاها بما تَرَكَتْ
لِيَ السِّنُونُ.. وما أَبْقى لِيَ الزَّمَنُ
أَرْتَدُّ طِفْلاً، أَدُقُّ الصَّخْرَ منتظِراً
صَحْوَ الينابيعِ، يبكي قَبْضَتي الوَهَنُ
إِنِّي أُصِرُّ على رُؤْيايَ تُمَزِّقُني
كُلُّ القرابينِ في نيرانِها امْتُحِنُوا
عَفْوَ الغِناءِ، وعَفْوَ الشعرِ، أَعْشَقُهُ
هذا العِنادُ.. معاً في النَّزْعِ نَقْتَرِنُ

سليمان العيسى